

د. مهدي عامري

# تَسْلِيم

الرَّبَاء فِي زَمَنِ الأَمَل

قبل أن نسجن في البيوت إبان فترة الحجر، كنت في ميسيس الحاجة إلى مبلغ بسيط لا يتجاوز 500 درهم لشراء بعض الأدوية لأمي المريضة المعوزة. و كنت في حيرة من أمري؛ من أين لي بهذا المبلغ، وأنا منذ أكثر من 10 أيام أعود إلى البيت في نهاية الدوام خاوي الجيب تقريبا؟ 50 أو 60 درهما، لا أقل و لا أكثر، و يمكن لك أن تتخيل خيبة أمل زوجتي و أبنائي بهذا المصروف اليومي الذي لا يساوي شيئا في زمننا هذا. معاناة يا أخي.. معاناة! و في أعماق جيبى المثقوب سمعت صوتا داخليا مر إلى قلبي وعانق ذبذباته و خلجاته و نداءاته الخفية المغلفة بالأسرار و الغموض، و كان صوتي الداخلي يهتف بي: أنصت إلى صوت الكون و أرهف السمع للإشارات. الساعة تشير الآن إلى الواحدة ليلا. لا يهم. الوقت لا قيمة له. خذ صنارتك و سلة الطعم و توجه رأسا إلى البحر. صحيح أنك لم تصطد منه سمكة واحدة لسنوات بفعل ضيق الوقت، فالعمل في التاكسي طحن صحتك و وقتك، لكن هذه المرة على الأقل، لا بأس في معانقة البحر. توجه إلى البحر وحتى لو لم تظفر بسمكة واحدة، فإن نفسك ستخرج من إسار همومها باستنشاق هوائه وإطالة النظر إلى أمواجه و تشنيف الأذان بأصواته الصادرة عن أعظم لجاج الكون. يا بحري، اذهب إلى البحر!



978-9920-694-73-5



# تسليم الوَبَاءِ فِي زَمَنِ الْأُمَلِّ

د. مهري عامري



المؤلف: د. مهدي عامري

الكتاب: تَسْلِيم

الايداع القانوني: 2021MO0387

الترقيم الدولي: 978-9920-694-73-5 ISBN :

الناشر: حلقة الفكر المغربي - فاس

العنوان: ص.ب 2997 البريد المركزي - فاس

الهاتف: 0651288089/0535736164

البريد الإلكتروني: cpm.fes.2015@gmail.com

الطبعة الأولى: يناير 2021

تسليم



كيف تقرأ هذا الكتاب ؟

تم تأليف فصول هذا الكتاب في الفترة الممتدة من صيف عام 2020 إلى بداية شتائه وتحديدا على مسافة أيام قليلة من سنة 2021.

في زمن الوباء الذي ما زال يفتك بآلاف الأرواح في كل أرجاء المعمور، يظل الهدف من هذا العمل امداد القارئ بجرعة كثيفة من التفاؤل في هذا الظرف العالمي العصيب والصعب، والذي شهد لمرات متوالية في دول شتى اغلاقا للحياة وفتحا لها وإعادة اغلاق، في ظل تضافر جهود الحكومات ومساعيها الحثيثة لاحتواء الانتشار السريع للوباء القاتل.

إن الاشكالية المركزية التي تنبثق من النصوص الستة التي يضمها هذا الكتاب هي فكرة التقبل؛ والتي تعني بالنسبة لي "التسليم" بما هو موجود والتعايش الهادئ معه، بل أكثر من ذلك التدرج على تذوق الألم واستلذاذ الأحران المطهرة لروح الانسان من صداً الاستهلاك والمادية الجرافة التي تنوء بكلكلها على حياتنا المعاصرة.

لا تفهم من كلامي أن الكتاب الذي بين يديك دعوة مباشرة وصريحة إلى سلوك طريق الآلام.

إن رسالتي من هذا العمل، الذي خضع لكتابة شذرية تكثيفية شاقة وطويلة النفس ، بحيث أنه يندرج في خانة الكتب المختصرة المفيدة الموجزة المبنى والعميقة المعنى.. رسالتي

هي تنبيه القارئ إلى استخلاص دروس للحياة من رحم كل الأحران والمشاق التي حفل بها وما زال زمن جائحة كورونا.

و الحقيقة أنه بعد النجاح الجماهيري الذي لم أكن أتوقعه لكتبي الثلاثة السابقة (أحلام ونهاية الأحلام) و(أترك الجمود وابدأ التغيير) و(تستطيع أن تكون ناجحا)، والتي قرئ منها ما يربو على 5000 نسخة على امتداد أسابيع قليلة، قررت أن أوصل انتمائي ككاتب لمجالي القصة القصيرة والتنمية الذاتية، لكن هذه المرة بنكهة جديدة وبتوجه مختلف، أي بعيدا عن الايديولوجيات الساذجة التي تحصر النجاح فقط في الفاعلية والانجاز والكسب المادي والبهجة الدائمة.

وبالتالي، كان التحدي الأكبر من اخراج هذا العمل إلى الوجود هو التركيز على الجزء المظلم والمخفي من النجاح، وهو طبعا تجربة الألم التي توصل المرید إلى المزيد من التسليم، أي التصالح مع الانتكاسات وتحويل ظاهرها السلبي إلى طاقة مشرقة وفياضة.

أدعوك اذا إلى الابحار بين ثنايا هذا الكتاب، وأتمنى أن تكون بمطالعتة، مستوعبا بعناية لإشراقاته وتعاليمه، لأنك اذا غربلت الكتاب وانتقيت أجود ما فيه، فإنك لا محالة، ستصل إلى حالة من الرضا وتقبل الواقع المعيش، لم تصل إليها من قبل، ناهيك عن عظيم النفع الذي ستعود به عليك إعادة قراءة الفصول التي تخاطب وجدانك وحالتك المزاجية والروحية.



لقد طلب مني الكثير من أصدقائي المقربين (رغم قلة عددهم) مواصلة الكتابة الهادفة باعتبارها فعل مقاومة وعلاجاً ذاتياً ونشراً لقيم الجمال والخير. وها أنذا أستجيب مجدداً لهذا النداء الصادق الحميم، وأضع بين يديك هذا الكتاب تحن عنوان (تسليم. الوفاء في زمن الأمل).

ولا حاجة بي لأن أذكر أن الأسس الفكرية الراسخة التي يزخر بها هذا الكتاب ليست من اختراعي الشخصي، ولكنها نتاج لتفاعلي مع العديد من الكتاب العالميين الذين استأنست ولا زلت بأنوارهم وأرواحهم في هذه التجربة الأدبية الجديدة.

وفي نهاية المطاف، أتمنى لك تحقيق الاستفادة العظمى والقصوى من هذا الكتاب الذي أمل أن يساعدك على التسليم الإيجابي بمعطيات الوجود والتقبل الحكيم لرحلتك الخلاقة بين دروب الأمل والألم.

و الله خالقنا وبارؤنا ولي التوفيق.

**المؤلف**

**د. مهدي عامري**

# الوباء في زمن الأمل

عبثاً أحاول استذكار شبابي في مجراه المفعم قسوة وحرنا  
وأما قبل ساعة الميلاد.

في أي عالم كنت أتيه قبل السقوط الآثم في أحضان الحياة؟  
في أي برزخ كنت أركض قبل انبلاج الأنوار الأولى للكون  
وامتزاجها السحري بتيار متلاطم من الأفكار الهلامية والمصائر  
المخطوطة في سجلات القدر قبل التفتق الأول لذلك البرعم  
الفتي الذي كنته ؟

لعلي لست الوحيد الذي يسترجع شبابه المغموسة أيامه في  
مياه القسوة. لكن، يخيل إلي أن قصتي يجب أن تروى وأنتك  
خلقت لتلقيها والانطباع بتفاصيلها المدكوكة دكا في طاحونة  
الحياة.

يكاد يكون كل شيء عديم القيمة لكن الحب وحده ينتشله  
من قبضة الموت.

لو عدت إلى الذاكرة ما وجدت الا صوراً مبعثرة تكاد تتلاشى  
في مجرى الوجود.

ملاك يطل من شرفة البيت، أم حنون تعجن الخبز في  
قصعة من الطين، سمكة ملونة تسبح في أكوار يوم، أغنية  
قديمة لعبد الوهاب تداعب الروح، وزوج حمام يملأ هديله البيت.  
الزمن العتيق في الحي القديم لم يبق منه في الذاكرة إلا  
أصوات بعيدة وحنين متصل وقلب يخفق بعنف لا مثيل له على  
أنغام الذكريات. كل شيء تلاشى في تفاصيل الماضي التي  
جللها غبار النسيان، الملاك مات في حادثة سير، البيت هجر

على عجل، الأب لحق بالملاك بعد أسبوعين بعد أن كان صامدا طيلة حياته كالجبل في وجه القدر، ولم يبق في القلب والروح سواك أيتها الأم.

منذ سنوات طويلة وأنا أسوق التاكسي بين شوارع الرباط وأزقتها وأحيائها الملونة بالحياة والمنغمسة في الشمس وعبير البحر وزحمة الناس ومظاهر الحضارة واللاحضارة وتمفصلات كل شيء وتمددات اللاشيء.

خبرت السعي الى ما قسمه الله لي من رزق في أيام عملي الماراتونية وخبرت أيضا الهرولة بالتاكسي ومعها صرت عارفا بالوجوه وحاملا في ذاكرتي لآلاف القصص والحكايات.

عشت في حياتي الواحدة أكثر من مرة. كنت قلبا واحدا في مائة رجل. وهاهم هؤلاء الرجال الذين يسكنونني يتجاذبونني في جميع الاتجاهات فلست أدري أيهم يمسكني بقبضة من حديد وايهم يراوغني فأملك معه إمكان الهروب وصناعة جزء ولو بسيط من قدري.

يفترسني الخوف من الفشل وتضطرم في خلاياي نيران المجازفة ومعانقة الحياة والرغبة اللامتناهية في خوض التجارب، كي أبدأ بداية جديدة بعد فترة، كي أفتح صفحة جديدة في كتاب جديد، ولكن كتاب حياتي كله لا ولن يتكون إلا من صفحة وحيدة تختزل آلاف الرغبات والأحلام، وإن قدر لي أن أشطب جميع كلمات وجمل حياتي، فإني سأفعل محتفظا دون شك بعبارة واحدة : حياتي صراع في سبيل الأمل !

صرت من كثرة سماعي لأحاديث المسافرين معي في التاكسي خبيرا بأحوال المجتمع، وصار المجتمع جزءا من ذاتي وكياني وأصبحت بلحمي وشحمي ودمي وأفكاري الطائرة في المشاوير هذا المجتمع.

و ذات يوم، كنت أشكو من قلة المال في زمن كورونا العطن العديم القيمة العفن المنقوع في الفقر وسياسات الاغلاق وشلل الاقتصاد وخوف الناس من الوباء والخروج من المنازل أكثر من خوفهم من القضاء نفسه..

كنت أشكو من ضيق ذات اليد إضافة إلى خلافات وشجارات لا تنتهي مع زوجتي حول مصاريف البيت وأحدث الطرق لتوفير المال، ناهيك عن عدم رضاي عن مجهوداتها في إدارة شؤون البيت وواجباته... وهلم جرا.

وفي غمرة هذا الطوفان من الشقاكات الزوجية والعوز الممزوج بالبؤس؛ بؤس العالم الموبوء الذي تطحننا رهاه.. في غمرة هذا المحيط المصطفقة أمواجه بالرعب والخوف من الموت وسياسات الدول في التحكم بالبشر.. أقول، في غمرة كل هذه التضاربات، ركب معي في التاكسي شاب في مستهل الأربعين يفيض وجهه سرورا ومرحا، وحينما وقع بصره على جبل الضيم الذي يدك روعي وتقاسيم وجهي المتعب، غمز لي بعينه اليمنى ودار بيننا الحوار التالي :

- أرى وجهك مسحوقا في طاحونة الهم والغم. هل أنت حي

أم ميت ؟ !

- أنا حي، ولكني ميت في الواقع. إن الوباء يكاد يقتلنا
- لا تقل هذا الكلام..
- إن لم أقل هذا الكلام فما البديل عنه ؟
- شوف آبا ديالي، يمكن لكل قوة خارجة عن إرادتك أن تسلبك كل ما تملك باستثناء شيء واحد ، قابليتك للتكيف مع المواقف.
- كلام فلسفي جميل. أتمنى أن لا يكون مغرقا في الخيال.
- أنت حي ترزق وتنفس وفي جسمك بقية من الأمل والروح (و هنا زاد وجه الشاب إشراقا واستنار
- بضوء لطيف كأنه آت من عالم الغيب). أنت تستحق أن تكون في قمة السعادة، لأنك حي ترزق.
- ربما تحاول تقديس السعادة لأنك سعيد في هذه اللحظة !
- بلى يا عزيزي. ليس الأمر كما يخيل إليك..
- ماذا تقصد اذا ؟
- أرجوك، استمتع بحياتك رغم كل شيء واعتبر كل يوم وجود به الخالق عليك عيدا يستحق أن تتوجه فيه إلى المولى بالشكر والحب والابتهاال والتبجيل والاحتفال بالحياة.
- كلامك يسيل من بحر الخيال ولديك حماس يفوق الواقع آ الشريف..
- ها ها ها... أحترم كلامك، لكن اسمعني جيدا؛ اذا كان هناك درس خرجت به من زمن الوباء الذي لم ينته بعد، والذي يتمدد بتوحش لا نظير له في عالمنا الجريح.. أقول إن كان

هناك درس يستخلص من كل هذا، فهو قناعة واحدة وراسخة في وجداني وأعماق روحي : كسرة خبز وكأس شاي يكفيان للإحساس بالسعادة والبقاء على قيد الحياة.

- إنني أغبطك على هذه الروح الايجابية وأتمنى أن أكون مثلك... صراحة، أتمنى أن أكون مثلك.

- لا تكن مثلي، ولكن كن ذاتك، واملأ هذه الذات بالحب والأمل في عالم أفضل. أرجوك، أطرق أبواب الرجاء واليقين..  
- اليقين ???

- نعم، اليقين في ربك الذي خلق الوباء والدواء، واليقين في قلبك السابحة نبضاته وخلجاته وهمساته في اشراقاته وتجلياته وعظمته التي لا تحد. شوف آ با ديالي، ربنا وخالقنا قادر أن يرفع الوباء والبلاء في أي وقت.  
أرجوك، عش بهذا الأمل العظيم. لا تكن حيا ميتا.. أرجوك،  
عش بهذا الأمل...

الأمل ؟

يا لها من كلمة ساحرة تخرج من الأفواه بعيدا عن كل معنى وقريبا من كل ظلال الأوهام التي صارت تحجب عنا رؤية الخلاص في زمن كورونا المضحك بالدمار.

الأمل ملاذ أثير في غياهب الحياة. تفر منه إليه. يساعدك على التمسك بالحياة ويجعلك تتغلب على مخاوفك في قمة اليأس والعجز. لا تستطيع أن تكون دائما مؤمنا به أو كافرا بأثره العميق في النفس، لكنه رغم كل شيء أساسي لمن يريد

الحياة. من يريد أن يحيا لا يكفيه إمكان الوجود، لكنه يحيا بالأمل ولا يتنازل أبدا عنه. من يريد أن يرتشف الرحيق الصافي من كأس الحياة لن يجد للأمل بديلا، فحضوره في الحياة بمثابة الدم المتدفق في عروق وشرايين كل كائن حي.

الأمل تماما كالموت، تسمع الناس يحكون عنه في كل دقيقة، في كل ثانية، صباح مساء، ولكنك لا تعرفه إلا اذا تلبسك، تماما مثل الموت. وحياتي كانت قبل الوباء الشيطاني الذي ضرب الأرض أفضل حالا، على الأقل في جانبها المالي.

لكن هل المال كل شيء؟ هل هو سر سعادة الانسان كما تزعم الأغلبية الساحقة في المجتمع؟ هل هو البلسم الشافي لكل جراح في زمن الاستهلاك والمادية الطاحنة المخربة لكل القيم؟

تضاربت الأفكار في رأسي وأردت أن أجاري الشاب الأربعيني المسافر على متن سيارتي في أمواج أفكاره وطاقته التفاؤل التي تنبعث من خلاياه.. هنا، أدت رأسي نحوه وأنا أسوق في الوقت ذاته التاكسي منتبها إلى الطريق، وغمزته بعيني اليسرى وقلت له بلهجة ترشح مرحا وسخرية :

- لعلك من صناع الأمل في محيطك وبين أصدقائك، ولكن ما قيمة الأمل في عالم الوباء؟ أكيد أنك مثلي ومثل ملايين الناس عشت السجن المنزلي الذي فرضته السلطات قبل أسابيع قليلة وشاهدت بأم عينيك في التلفزيون والانترنت آلاف مؤلفة من ضحايا الوباء يتساقطون بين براثن الموت، مثل ذباب لا



قيمة له... إن مسلسل الوباء أطول مما كنا نتوقعه، لعله يستمر سنوات طويلة دون لقاح فعال (كما قالت منظمة الصحة بالأمس). ما قيمة الأمل إذا في هذا العالم الخربان ؟  
تنفس الشاب بعمق، وأغمض عينيه ثلاث ثوان، ثم شملني بنظرة تقطر هدوءاً وحناناً، واسترسل :

- أنت سائق تاكسي، وأكد أن ذاكرتك تعج بآلاف القصص، قصص رفقاء المشاوير، يعني هذا أنك مثل الطبيب النفساني. عيادة متنقلة يا صاحبي. أنت الأذن السماعية للأفراح والأتراح، للمسرات والآلام.. أنت وعاء قصص السعداء والتعساء والمغلوبين والمنبوذين والمسحوقين في طاحونة الحياة. آلاف القصص تختزنها ذاكرتك، فهل تريد أن أحكي لك القصة الأولى (ربما) بعد الألف ؟

انتابني الضحك وشرعت أقهقه بصوت عال ارتج له التاكسي المهترئ الذي أسوقه منذ ما يربو على 11 سنة..  
- دمك خفيف آ سي محمد.. هاهاهاها.. أكيد أنه يسرني أن أسمع قصتك..

- الأمل يولد حتماً من رحم الضيم وغياب الظلمات، وعندما تنطفئ أنوار الحياة يبقى الأمل ذلك المصباح الهادية أنواره في طريق اليأس. لا عمل قار لدي منذ أزيد من 20 سنة. أشتغل مياوماً على مدار هذه السنوات الطوال. تارة كبائع متجول، وتارة أخرى تجدني في أورش الصباغة والبناء. خلاصة

القول، لا عمل قار لدي. أعيش في حدود يومي، ولم أخطئ يوما للغد. أعيش بالبركة يا عزيزي، بركة المولى وبركة الوالدين..  
قبل أن نسجن في البيوت إبان فترة الحجر، كنت في ميسس الحاجة إلى مبلغ بسيط لا يتجاوز 500 درهم لشراء بعض الأدوية لأمي المريضة المعوزة. وكنت في حيرة من أمري؛ من أين لي بهذا المبلغ، وأنا منذ أكثر من 10 أيام أعود إلى البيت في نهاية الدوام خاوي الجيب تقريبا ؟ 50 أو 60 درهما، لا أقل ولا أكثر، ويمكن لك أن تتخيل خيبة أمل زوجتي وابنائي بهذا المصروف اليومي الذي لا يساوي شيئا في زمننا هذا.  
معاناة يا أخي، معاناة !

و في أعماق جيبي المثقوب سمعت صوتا داخليا مر إلى قلبي وعانق ذبذباته وخلجاته ونداءاته الخفية المغلفة بالأسرار والغموض، وكان صوتي الداخلي يهتف بي (أنصت إلى صوت الكون وأرهف السمع للإشارات. الساعة تشير الآن إلى الواحدة ليلا. لا يهم. الوقت لا قيمة له. خذ صنارتك وسلطة الطعام وتوجه رأسا إلى البحر. صحيح أنك لم تصطد منه سمكة واحدة لسنوات بفعل ضيق الوقت، فالعمل في التاكسي طحن صحتك ووقتك، لكن هذه المرة على الأقل، لا بأس في معانقة البحر. توجه إلى البحر وحتى لو لم تظفر بسمكة واحدة، فإن نفسك ستخرج من إسهار همومها باستنشاق هوائه وإطالة النظر إلى أمواجه وتشنيف الآذان بأصواته الصادرة عن أعظم لجم الكون.  
يا بحري، اذهب إلى البحر..

و فعلا، وجددني وحيدا في الليلة التي سبقت ميقات الحجر.  
كنت وحيدا، وكانت وحدتي أثقل من ظلمة ذاك الليل البهيم  
المفعمة روحه بالحزن والترقب. غرست يدي في سلة الصيد. أنا  
غبي! نسيت الطعم! وكمن يستमित بين لجج الظلمات بحثا عن  
طوق النجاة، رميت بالصنارة في البحر، ولسان حالي يقول  
(محال، ولكن جرب حظك أيها الغبي!).

و بعد دقائق قليلة، كانت المفاجأة. ها هي ذي تغمز.  
الصنارة تغمز. والصيد ثقيل. اتمنى أن لا يكون كيس ازال..  
هاهاها.. الصنارة تغمز، هيا، جرب ولن تخسر شيئا فأنت فقير  
سالك في دروب الحياة، أنت وحيد، لكنك في معية البحر.  
و مرت 3 دقائق، ورفعت سمكة لم أصطد مثلها في حياتي.  
فرخ عظيم الجثة. يا إلهي!

يا منتهى الحب! أيها المجنون الأزرق! تفاجئني.. ضمنى  
اليك...

ضممت الفرخ إلى صدري وأحكمت يدي عليه ولم يستكن  
لحظة واحدة، بل انتفض بقوة كأي سمكة تغادر البحر. وفي أقل  
من دقيقة رميت بالصنارة في البحر. ومرت دقيقتان، ولم أكد  
أصدق ما حصل! الصنارة تغمز! يا للهول! يا إلهي! سأجن.  
سأفقد عقلي! ... ورفعت مرة ثانية سمكة أخرى. رباه! فرخ ثان  
أكبر من الأول. رباه! أكاد لا أصدق. وبعد سويغات قليلة،  
وجددني في المرسى أبيع السمكتين وأفاجأ من جديد بأن  
وزنهما معا يفوق 27 كيلو!

وكان ما جنيته من الصيد ثلاثين ألف ريال غمرتني  
بالسعادة وضخت في شراييني روح الأمل.  
أي نعم، روح الأمل..  
تحتاجين 500 درهم آ الوالدة ؟ لا مشكل في مصروف  
دوائك. خذي الثلاثين ألف !  
ربي كبير آ ميمتي الحبيبة..  
أنا جاي !



تقبل حياتك

كان جوزيف مدمنا على القراءة ومشاهدة أفلام الأكشن، وكان قليل الأصدقاء، غزير الثقافة، وصموتا، وخجولا، ومتهربا من مواجهة مشاكل الحياة. وكان في لحظات الهامه (التي لا تدوم طويلا بحكم عمله الشاق في التجارة) ينظم الشعر.

لعل جوزيف، وهذا ليس اسمه الحقيقي لأن أصحابه على قلتهم لا يحلو لهم مناداته (يوسف)، ولكن جوزيف وأحيانا جو... لعل جوزيف الشخص الوحيد على وجه هذا الكوكب الذي يمكن أن تلجأ إليه قاصا عليه همومك وأحزانك، ولعله أنموذج لرجل منقرض وموجود خارج الواقع.

إنه يستمع لك، ولا يقاطعك، ولكنه يحتفظ دائما بدمه البارد وسلبيته الأشد برودة من الثلج وهو ينصت إليك، وكن واثقا أنه في نهاية قصتك سوف يجود عليك بجملة واحدة: " ما تحكيه مهم بالنسبة لك، لكنه في مجرى الحياة الفياض بالمشاكل، لا قيمة له!".

إن شخصية جوزيف الفريدة تجعله نقطة بداية فريدة وعجيبة لهذه القصة..

أراد جوزيف أن يكون أستاذ لغة اسبانية، لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.

سجل في الجامعة وبدأ يدرس بشغف منقطع النظير، لكن بمجرد حصوله على الماجستير في الأدب الاسباني، توفي والده بسكتة قلبية مفاجئة ووجد نفسه مسؤولا عن أم أرملة وعن نصف دزينة من الأيتام كلهم دون سن الثامنة عشرة، كما كان

مرغما على أن يحمل على عاتقه تجارة المرحوم وأن لا يترك أموال والده الفقيد في مهب الريح.

كان عمل جوزيف في التجارة مضمنا مليئا بالأخطاء. كان المقربون منه يقولون له : (لا تثق في أولاد الحرام المحيطين بك في التجارة. العالم غابة لا ترحم. أنت طيب ومتسامح، لكن أداءك في العمل في غاية السوء، ليس لأنك سيء بل أنت في منتهى الطيبوبة، ولكن لأن العمل الجاد معناه المزيد من الحزم ومراقبة الصغيرة والكبيرة وعدم الثقة فيمن تتعامل معه).

و مع تراكم هذه الملاحظات التي كان جوزيف يأخذها على محمل شخصي ولا يذوق منها سوى طعم المرارة.. مع كثرة هذا الكلام الذي طالما اعتبره سلبيا، بدأ يكره التجارة، بل "أب التجارة".

و في غيابة هذا الجب المظلم الذي يغذي حلقة سواده رهافة إحساس جوزيف، أصبح هذا الأخير يحس يوما بعد يوم بمرارة الفشل الذي كان دائما يدفعه الى هاوية الجحيم. و كان هذا الجحيم بكل بساطة هو الكآبة الثقيلة التي باتت تسربل روحه وقلبه وكل كيانه، وظل هذا الاكتئاب لصيقا به لسنوات طويلة.

كان لدى جوزيف متجر ضخم للمواد الغذائية، وكان يعمل تحت نفوذه أحد عشر عاملا، وكان يجني قدرا لا بأس به من الأرباح، لكن الكثير من المال كان يذهب سدى بحكم الخلل في التسيير وغالبا بفعل التساهل مع أخطاء الأجراء.



و كان جوزيف يعود كل ليلة إلى البيت، ويحاول أن ينسى أيامه المفعمة بالشقاء والضياع، فكان يشاهد الأفلام على الانترنت الفيلم تلو الآخر، مستعينا في سهراته الليلية بفواصل من موسيقى البلوز الحزينة، والتي كانت تترجم نواتها الكئيبة في كل مرة مشاعره الغارقة في البؤس والغم. وكثيرا ما كان يستيقظ كل صباح قبيل الذهاب إلى العمل على الساعة السادسة، فيجد نفسه نائما على الأرض، ناهيك عن النور الذي يغمر غرفة النوم والذي نسي إطفاءه في الليلة السابقة.

يستيقظ ويجد أيضا آهات البلوز تملأ الغرفة، فيردد في قرارة نفسه : ( أنا أتعس انسان على وجه الارض. لكن تعاستي لا قيمة لها في مجرى الوجود الفياض بحكايات الألم. لا يهم). مضت خمس سنوات على هذا المنوال، خمس سنوات كان الجزء الأعظم منها ضبابا كثيفا من الشكوك والشقاء اللامجدي في العمل والبكاء على ما ضاع من الأحلام.

و في نهاية العام الخامس، أي بعد مئات الأيام من الفشل الذريع والضجر وجلد الذات، اتخذ جوزيف أخطر قرار في حياته. سلم مفاتيح التجارة لأخيه الأصغر، وسجل في دورة تدريبية مكثفة في السياحة والفندقة، على أمل الهروب مسافرا إلى بلد آخر ونسيان الماضي.

جر عليه هذا القرار المجنون مزيدا من النقد والكلام اللاذع، لكنه ختم أذنيه بالشمع الأحمر وقرر أن يتجاهل الجميع ويخرج من دائرة ما كان يسميه "الأوهام".

و بعد انتهاء مدة دورته التدريبية، استجمع همته وكل نشاطه وبدأ يبحث عن عمل في السياحة.

كان جوزيف يشجع نفسه قائلًا : (يمكن أن أبقى في مربع الأمان الذي تمثله تجارتي الحالية، كما يمكن لي أن أمثل دور المسافر الباحث عن فرصة عمل والذي يزج بنفسه في المجهول. لا يهم ! سأركب أمواج المجهول. سأفعل، مهما كان الثمن !).

و بعد ثلاثة أسابيع، وجد جوزيف نفسه في مدريد يشتغل بالسياحة.

و قبل أن يسافر جوزيف إلى إسبانيا كان اسم هذا البلد مرتبطًا في ذهنه بأشياء ومعاني متضاربة : إسبانيا "بابلو بيكاسو" و"بيدرو المودوبار" و"فرانكو". إسبانيا المنهارة بعد الحرب الأهلية، إسبانيا التي قطعت أشواطًا في دروب التقدم والتنمية منذ ثمانينيات القرن العشرين، عقب انضمامها للاتحاد الأوروبي.. إسبانيا الحاضر المشرق، وإسبانيا الماضي العريق الفواح بعقب الأندلس. إسبانيا المرح والسهرات الليلية الصاخبة وحب الحياة والموسيقى. وبالطبع أيضا ريال مدريد ونادي برشلونة والكثير من الانتصارات الكروية التاريخية.

و كان جوزيف قد قرأ الكثير عن الأدب المعاصر الناطق بالإسبانية، وشاهد في سنين مراهقته الأولى عندما كان له من العمر خمسة عشر وستة عشر ربيعًا، عددا هائلًا من الأفلام الإسبانية، وذلك حين كان منتسبًا إلى النادي السينمائي

لمدينته البحرية الصغيرة الرابضة على الساحل الأطلسي. وكانت صورة إسبانيا بشكل عام ايجابية في ذهنه، رغم ماضيها الاستعماري في بلده إضافة إلى أجزاء شاسعة في أمريكا اللاتينية، ورغم تلك النظرة الدونية التي كان يتلقاها أصدقائه "الموروس" ممن يشتغلون في الديار الاسبانية، فإنه كان لا يهتم بتاتا بهذه العموميات، وكان هدفه الوحيد أن يصل إلى الضفة الأخرى ويبدأ حياة جديدة، وينأى بنفسه عن كل هذه الأحاديث السياسية والايديولوجية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وكان المقربون من جوزيف يرددون على مسامعه :  
(الحياة في أوروبا ليست لأمثالك. انها لا ولن تليق بك. أنت شاب رومانسي شديد الهدوء ولديك حساسية مفرطة تجاه الأشرار من البشر. إن مكانك هنا، في بلدك، ولن تضيف لك الغربة شيئاً يذكر !).

و كانت هذه الكلمات المحبطة وسواها تكاد تذهب بما تبقى من عزيمة جوزيف واصراره على الرحيل، ولكنه كان يصر على التظاهر بعدم الانصات حتى لا يفشل وتذهب ريعه.  
وقبل سفره إلى إسبانيا ودع جوزيف أعباءه بلا عناق ولكن هذا الوداع كان مليئاً بالحزن والدموع - طبعاً فقط من جانبهم !-، ولا زال يذكر جوزيف أنه اشترى نسخة أنيقة من رواية الخيميائي (التي قرأها خمس مرات)، وأهداها لصديقه الوحيد

والحميم محمد، كاتباً على صفحتها الأولى هذه الكلمات : (من لا يغامر لا يعيش. من يخاف من التغيير فهو حي ميت ! )  
و كان محمد، صديق جوزيف الأوحى، دائم التشجيع له على الهجرة، وكان قبيل سفره إلى الضفة الأخرى لا يتوقف عن تحفيزه بهذه الكلمات :

(دعك من أحكام القيمة تجاه الاسبان، ولا تكثر لكلام الناس. الاسبان بشر عاديون ليسوا أفضل منا في شيء، فيهم الصالح والطالح، وإذا كنت أمينا ونزيها معهم فسوف تكسب بسرعة ثقتهم. إن من ينصحك بالبقاء هنا كان الأجدر به أن يلتفت لشؤونه ولا يتدخل في قراراتك. إن كل سفينة تبحر نحو المجهول تعود يوماً إلى نقطة انطلاقها محملة بالأسرار والاكتشافات. كن سفينة في بحر الحياة المليء بالعجائب، وتوكل على الله).

و جرت الأقدار برياح طيبة هذه المرة، أكثر من ذي قبل، وقيض لجوزيف أن يعمل في مدريد بأجر متوسط، لكنه محترم يمكنه من الحياة الكريمة.

و كان كل شيء غريباً على حواس جوزيف وإدراكه في الأيام الأولى بإسبانيا : الأصوات، الألوان، الروائح، المشاهد، الشوارع، السماء، والطعام ودرجة الحرارة. أصبح جوزيف يفتقد ترنيمة الأذان رغم أنه لم يكن مواظباً على الصلاة، هذا إلى جانب افتقاده الوجوه المألوفة التي كانت تعمل كالبوصله لديه إذ تساعده على التعرف على خبايا نفسه وعلى خصائص

محيطه. وكانت خيبة أمله عظيمة لأن أغلب الاسبانيات يختلفن عما شاهدته في الأفلام : نساء متواضعات الجمال، أغلبهن لسن شقراوات أو خضراوات العيون، بل ما يهيمن على سحنتهن هو الشعر الكستنائي والعيون السوداء والعسلية.

و نادرا ما كان جوزيف يستمتع بطبيعة إسبانيا الجميلة الدافئة أو باللحظات الاستثنائية التي يقضيها في استكشاف كل ما هو غريب وجديد بالنسبة له. كان يملكه على الدوام احساس مسموم بالكآبة والوحدة. وحتى مشاهد وصور الجمال في الطبيعة وجغرافيا المدينة ووجوه الناس الودودة.. كل ذلك كان مصدرا لحزن لا ينضب.

و نتيجة لذلك، بدأ يشعر تدريجيا بالنفور من إسبانيا بكل تفاصيلها رغم أن أحدا لم يضايقه أو يمارس عليه عنفا أو عنصرية. كان فقط ما يضايقه أن الاسبان يتكلمون بسرعة وتشي حركاتهم وأصواتهم بقدر عال من الطاقة والحيوية ؛ وهو ما كان يفتقر إليه بشدة لمزاجه البارد ونفسيته "الميلانكولية".

و أصبح يحس صاحبنا لأول مرة بعد أزيد من خمس سنوات من العدمية القاتلة... أصبح يحس نفسه -رغم كل المشاعر السلبية - انسانا ناجحا.

و كان جوزيف يعي تمام الوعي أن النجاح أمر نسبي وشخصي إلى أبعد حد، وأن النجاح كلمة متعددة الاستخدامات

والإحياءات فهي بالنسبة للشباب العازب قد تعني الزواج وتأسيس أسرة مستقرة وبالنسبة لطالب العلم قد تعني مراكمة المعارف والحصول على عدد كبير من الدبلومات، فهكذا هو النجاح، مصطلح نسبي لا يمكن أن نفهمه في المطلق. فالناس كلهم يريدون النجاح باختلاف معتقداتهم وسلوكياتهم ومشاربهم. لكن أين يمكن العثور على النجاح الحقيقي؟

و كان جواب جوزيف على هذا السؤال ينطلق من تصور تمتزج فيه الفطرة بالبداهة :

(النجاح بالنسبة لي هو الرضا، إنه يساوي استمتاعي وانشغالي بما أحب).

و بالفعل، ها هو جوزيف يعمل بالسياحة، وها هو ذا برنامج عمله مغر وجذاب فهو قائم على الحركة وكثرة الأسفار والتعرف على أناس من كل أجناس وثقافات العالم، ولعل حياته الجديدة بمدير يد قد خالفت كل توقعات عائلته ومحيطه الاجتماعي، بما فيها توقعاته هو على وجه الخصوص.

إن قصص الشبان من أمثال جوزيف تمثل الأنموذج الحي والمتحرك للحلم الكلاسيكي : رجل يناضل بكل قواه من أجل ما يريده ولا يستسلم، ثم ينال في نهاية المطاف مبتغاه ويحقق أكثر أحلامه عمقا وقوة. إن قصة جوزيف تشبه أفلام جيمس بوند وروايات رجل المستحيل، لأن بطلها يؤمن في نهاية الأمر

بنفسه، ويتمكن (على رأي باولو كويليو) من صناعة مجده الشخصي.

ولكن، لنعد الآن إلى قصة "نجاح" جوزيف والتي تمثل ظاهريا قمة سعادته ورضاه عن نفسه. دعونا نلق نظرة خاطفة على مشهد فريد من حياة جوزيف في مدريد : حتى بعد أن صار دائم التغيير وكثير الانفتاح في عمله السياحي، لم يكن ليثمن تحولات حياته الجديدة الا خلال أيامه الأولى بمدريد. ولكن فيما بعد أصبح يحن الى أسرته ووطنه ويغرق كل ليلة في مستنقعات من الكآبة وهو يشاهد دون توقف أفلام الأكشن ويستمتع لبلوزه الحزين.

لعل جو، في العمق، لم يتذوق الطعم الأصلي للنجاح لأنه لم يكن راضيا ومتقبلا لواقعه.

تسلط ثقافتنا المعاصرة الكثير من الأضواء على الانجازات المادية وعلى الآمال العظيمة : كن غنيا، كن موهوبا، كن سريعا، كن وافر الانتاج، كن مدهشا، كن ناجحا، وإياك أن تفشل ! قم من نومك سعيدا وكرر عشر تأكيدات إيجابية بعد الألف وقل لنفسك دائما أن العالم ليس سلبيا البتة ولا يمكن أن يتغير من أجلك، بل إدراكك له هو الذي يفترض أن يتغير!

بمعنى آخر، أن تكون محظوظا أو شقيا كلها مسألة إدراك للعالم، يعني كلها مسألة زاوية نظر !  
توقف لحظة.

فكر مليا في كل ما قيل...

إن كل خبراء وأشباه خبراء علم النفس والتنمية الذاتية..  
إن أغلبهم، إن لم يكن كلهم، يحرصون النجاح والحصول على  
السعادة في المزيد، والمزيد، والمزيد. يعني ذلك المزيد من  
الأموال، ومن العقارات، ومن السيارات، ومن الدولارات، ومن  
الشركات، ومن المشاريع، ومن الأرباح، ومن الأسهم في  
البورصة، ومن الاستثمارات. المزيد، والمزيد، ولا شيء غير  
المزيد.

إن نصائح هؤلاء "الخبراء" تنحو في اتجاه واحد: التركيز  
على ما تفتقر إليه عوض لفت الانتباه إلى ما كسبته وتقبله، بل  
تقديره وتعظيمه.

ربما تجد صعوبة بالغة في تقبل نفسك وحياتك وربما  
الواقع الذي تعيشه. ربما لا تستحسن توقعاتك عن نفسك في  
المستقبل، أو لا يروق لك جانب من جوانب شخصيتك، أو لا  
يعجبك شكلك أو هندامك أو دخلك أو محيطك في بعض الأيام.  
من الشائع للناس أن يكونوا ناقدين لأنفسهم، ولكن هناك  
خمس طرق لتتعلم تقبل نفسك وحياتك.

1) حدد نقاط قوتك. من السهل جدا أن تنظر الى نفسك  
في المرأة وتستشعر انعدام الأمان. ولكن، بدلا من الاعتماد  
فقط على هذا التمرين الساذج ، جرب جرد واحصاء كل الأشياء  
التي تمثل حقيقتك. أرسم قائمة من نقاط القوة الخاصة بك،  
مثل الأشياء التي تجيدها والقيم التي تثبت عليها أنت  
وأصدقائك. إذا كنت تواجه مشكلة في تجميع الأفكار عن نقاط



قوتك، اسأل صديقاً لك أو أحد أفراد عائلتك عن أهم ما تتحلى به من خصال وصفات إيجابية.

(2) **كن صادقاً مع نفسك.** هذا واحد من أصعب الأمور التي يجب على معظمنا القيام به، ولكنها خطوة أساسية لإحداث التحول الحقيقي في حياتك. في العديد من المجتمعات المعاصرة التي تركز على نجاح الفرد، والتي تشجع على السعي للتميز، غالباً ما نبحث عن الاعتراف بالنجاح ونخجل من سماع النقد الذي نأخذه غالباً على محمل شخصي. حاول أن تكون صادقاً مع نفسك، وتخيل أنك تراقب نفسك من خلال عيون شخص غريب. اسأل نفسك ماذا يعتقد هذا الشخص عنك. كُن موضوعياً قدر الإمكان واسع الى رؤية ذاتك من الخارج.

(3) **اعترف بجميع أخطائك.** تذكر شيئاً في منتهى الأهمية وهو أنه لا يمكنك إصلاح مشكلة حتى تتمكن من الاعتراف بها أولاً. يمكنك استعراض الأخطاء التي ارتكبتها على أساس أنها فرص ثمينة للتعلم، وطرق آمنة وسريعة للوصول الى أهدافك في الحياة. أنت قوة مذهلة شريطة أن تؤمن بنفسك. أدرك أنه يمكنك تغيير ذاتك. أنت فقط من يمكنه التحكم في مصيرك بعد الإرادة العليا للخالق الكريم. حدد ما هو مهم بالنسبة لك وسخر عقلك وقلبك وروحك لهذا الهدف. اطرده الشكوك والأوهام من حياتك وآمن بنفسك. عندما تدرك ادراكاً عميقاً لا يتزعزع أن الأخطاء فرص للتعلم وأن الفشل جميل لأنه بناء وأن واقعك

ليس دائم الثبات، سوف تتسلح بالمزيد من التحدي، والمثابرة، والرغبة في المغامرة وتجربة كل ما هو جديد.

(4) التمس المساعدة المتخصصة. في بعض الأحيان يكون من الأسهل أو الأكثر كفاءة أن تطلب مساعدة خارجية من مهني متخصص. الطبيب المختص يمكن أن يساعدك على تعلم كيفية تقبل نفسك وتقبل واقعك. هذا الشخص يمكن أن يكون أيضاً رجلاً حكيماً أو مستشاراً مرخصاً له أو أي مختص بعلم النفس.

(5) مارس التأمل. يجب أن يُمارس التأمل في مكان هادئ وخالٍ من الضوضاء. تساعدك البيئة الهادئة في معظم الأحيان على التركيز التام على عملية التأمل وتجنب المشتتات المحيطة أو محفزات أنماط التفكير المزعجة. ابحث عن مكان هادئ تضمن فيه جلسة تأمل دون مقاطعة أو تدخل خارجي. سواء استمرت جلسة تأملك 5 دقائق أو نصف ساعة كاملة فالمهم هو إيجاد حالة من الهدوء العميق والسكون التام. لا يُشترط أن يكون مكان التأمل واسعاً، فغرفة نومك أو غرفة مطالعتك الصغيرة تفي بالغرض طالما أنها تحقق لك الخصوصية اللازمة للاندماج في التمرين. بالنسبة للمبتدئين في تمارين التأمل، من المهم تجنب أي مشتتات خارجية خلال المحاولات التأملية الأولى؛ باغلاق التلفزيون والهاتف المحمول وغيره من الأجهزة الإلكترونية المشتتة للانتباه. إن فضلت استخدام الموسيقى في عملية التأمل، فاختر نغمات هادئة متواترة لكي لا تكون سبباً

في كسر تدفق تركيزك واندماجك في تمرين التأمل. يمكنك كذلك استعمال أصوات الطبيعة، كهدير الماء أو أمواج البحار أو حفيف الأشجار. وأخيرا لا تتوقع تحقيق نتائج فورية من أول محاولة لممارسة التأمل. لماذا؟ لأن هذه التمارين على أهميتها فإنها ليست تلك العصا السحرية التي ستحولك بين عشية وضحاها لعالم صوفي أو صاحب كرامات روحانية، ولكنها لن تؤدي غرضها المتمثل في مساعدتك على تقبل حياتك وواقعك إلا إذا حررت نفسك من أي توقعات مسبقة ومارست التأمل لمجرد الاستمتاع به في حد ذاته.

تَسْلِيمَ

أنت تبحث عن المعنى، لكني سأحكي لك قليلا عن اللامعنى.

اللامعنى جزء لا يتجزأ من واقع الحياة المفعم بالتناقضات والمفتوح على البشاعة والهلاك وعلى البؤس الذي يؤثث كل شبر من هذا العالم.

يقول نيتشه : (ما دمت حيا فستعاني، فالطريق الوحيد للنجاة أن تجد معنى لمعانتك).

لماذا أحيا ؟

هل سألت نفسك يوما هذا السؤال، في خضم ما يمكن أن تمر به من أحداث ومشاكل ومواقف قد تؤثر سلبا على مجرى حياتك؟

هل فكرت يوما في جدوى الحياة؟ هل بحثت أحيانا عن المعنى في دوامة اللامعنى ؟

هل تستيقظ كل صباح ويخالجك شعور أنه لا يوجد سبب مقنع ووجيه للاستيقاظ واستقبال اليوم وتخصيص جزء عظيم منه للعمل والكد والانتاج ؟

الفراغ النفسي الذي يصل أحيانا إلى فقدان المعنى شعور يجربه كل البشر من وقت لآخر، وليس من السهل أن لا تقع بين مخالفه. هذا الشعور دائما، أو أغلب الوقت، ما يكون أحد أعراض لحالة مرضية كامنة، مثل الاكتئاب، ويجب عليك أن تتواصل مع طبيب متخصص إذا كنت تشعر كثيراً بهذا الأمر. لكن رغم ذلك توجد العديد من الأشياء التي يمكنك أن تقوم بها للتغلب على

الشعور العرضي بالفراغ النفسي، كأن تقوم بكتابة يومياتك، أو تجربة أشياء جديدة، أو تكوين المزيد من الصداقات.  
واصل القراءة لتعلم المزيد حول كيفية التوقف عن الشعور بهذا الفراغ القاتل. ابذل كل مجهوداتك للخروج من دائرة اللامعنى، واعلم أنك تتعلم من الألم أكثر مما تتعلم من مباحج وملذات الحياة.  
افعل مثلي عندما يضيق صدرك ولا ترى بارقة أمل في الأفق.

استسلم !

أنا مستسلم لإرادة الحياة.

تسليم...

جربت السجن لأول مرة في حياتي.

إنه كالموت تسمع الناس يتفنونون في وصفه ويخشون حلوه، لكنهم لا يعرفونه حق المعرفة إلا اذا حضر. وهو قوة جبارة جرافة، يفتك بفريسته، يشل أطرافها، يخدر فيها الاحساس والادراك، ويصب في أحشائها الجنون .

السجن هو الموت بلحمه ودمه.

السجن هو الموت المتجدد والعذاب اللانهائي.

السجن هو هذا الوباء الشيطاني الذي يحدق بنا من كل جانب.

السجن هو هذه الفتنة الكبرى القاطعة للأرزاق والمفرقة بين الأب وابنه والمرء وزوجه...

لم تكن المئة يوم من العزلة التي عشتها في زمن الوباء  
الخربان العفن الرديء الكئيب المضروب بلعنة الشياطين  
والناعقة في سمائه أسراب البوم والخفافيش... لم تكن أيام  
الحجر المنزلي خالية من المعنى؛ بل كانت المعنى ذاته لمن أراد  
أن يعتبر، وكانت مفعمة بدروس الحياة لمن وعى واستبصر.  
وفي خضم الحجر، في غياهب هذا السجن، كنت دائما  
أتساءل : " أنا موجود وغير موجود، ولدي شعور عجيب غريب  
بانعدام الوزن والغوص في سحابة معتمة بسعة الكون  
اللامحدود. أنا حي لكن روحي تعلق في مملكة الأموات. كيف  
لي أن أتحمل كل هذه المعاناة وأنا الرجل الحر العاشق للسر  
الالهي المقدس المخفي في اشراقاته وتجلياته الكامنة في كل  
ألوان وحركات الحياة ؟ "

سأتحمل، لأن شيئا واحدا يخيفني وهو ألا أكون جديرا بالآمي.  
كنت أشتغل نادلا لكن لم يكن ثمة عمل لأمثالي في زمن  
الحجر.

مئة يوم من العزلة. مئة يوم دون عمل لأن كل المقاهي  
مقفلة حتى اشعار آخر.

و كانت لدي مدخرات قليلة لأنني تعودت منذ سنوات على أن  
أصرف كل ما أربحه لإيماني الراسخ بشعار وضعته دوما نصب  
عيني : ( المال مثل الدماء في جسم الانسان.. يجب أن لا يتوقف  
عن الدوران ! ).

و لكن مهلا... ما هذا الهراء ؟ حتى الشعارات يجب أن تتغير  
وتغسل، تماما مثل الجوارب !  
أنا مستسلم لإرادة الحياة.  
تسليم...

و لذا أشار علي العقل وأنا حبيس الجدران الأربعة بلا عمل  
بأن أقتلع فكرة الاستهلاك من نفسي المعذبة لأقتات بما بين  
يدي من مدخرات، وإن لم يكن للعقل صوت يسمع في ضجة  
الحياة وأعاصيرها الهوج، فإن لغريزة البقاء صوتا يعلو على  
سلطان العقل.

ما العمل وجنوني يستفحل ؟ ما العمل وأنا بلا عمل، ونفسي  
ضاعت مني فجعلت أرمقها بعين الرثاء والأسى ؟ ما العمل ؟  
الطريق طويل والزمن طويل، وما السجن بجولة خاسرة  
ولكنه مدرسة لكل شيء...  
مستسلم أنا لإرادة الحياة.  
تسليم...

و ان كان الحجر هو السجن فهل يموت انسان في السجن من  
الجوع أو العطش أو الحر أو البرد أو التعذيب أو المرض ؟  
لا أعتقد... لأنه يموت من الانتظار الذي يجرد الأشياء من  
معانيها فيحول الزمن الى اللازم ، والشيء الى اللاشيء ،  
والمعنى الى اللامعنى..

الحجر هو السجن، لكن لا شيء ينتهي داخله، بل هو الطريق  
والوصول، البداية والنهاية؛ إنه ذلك الشوق العارم المجنون إلى



معانقة الحرية. انه نقطة السكون والتأمل الهادئ المستنير في  
عالمنا المتحرك.

و في بوتقة السجن يبعث القلب من موته ويتطهر ولو كان  
مطبوعا على الشر مشبعا بالآثام... وإن كنت قبل الحجر أعيش  
أيامي على ايقاع اللامبالاة وطوفان الشهوات، فإنه آن لي اليوم،  
في سجن الوباء الشيطاني، أن أتعلم من الألم أكثر مما تعلمت  
من اللذة، وأن أستلذ الشجى، وأن أشدو بترانيم الحزن المطهر  
للروح من الصدا.

الرُّجَالُ لَا يَخَافُونَ

منذ فجر التاريخ افتتن البشر بعالم الأحلام الغامض وحاولوا تفكيك طلاسمه ورموزه، وفي كثير من الثقافات القديمة اعتُبرت الأحلام رؤى مقدسة، فخلد الفراعنة أحلامهم على أوراق البردي، واعتقدوا بقدسية الأحلام وبأنها وسيلة مهمة لتلقي الوحي من الآلهة، واستخدم الفراعنة معابد مخصصة لتلقي الأحلام، فكان الشخص الذي يريد تلقي رسالة من الآلهة عبر هذه المعابد يمر بمرحلة تطهيرية تشمل الصوم لعدة أيام لتتطهر روحه وتستعد قبل الدخول إلى حرم المعبد.

أما البابليون فقد آمنوا أيضاً بوجود صلة قوية بين الديانة والأحلام، واعتقدوا بوجود فوارق بين أحلام العامة وأحلام الحكام. كما عرفوا الآلهة مامو التي انحصرت مهمتها في صد الأحلام السيئة.

واهتمت الحضارة اليونانية أيضاً بالأحلام واعتبرتها رؤى ملهمة واعتقدت بوجود هيبنوس إله النوم وأبنائه الثلاثة المسؤولين عن تشكيل الأحلام. كما ظهر الرابط بين الأحلام والسماء أيضاً في كتب الديانات السماوية الثلاثة، ففي الكتاب المقدس تُذكر الأحلام في عدة مواضع كوسيلة للوحي أو توجيه الرسائل السماوية.

تلعب الأحلام دوراً مهماً في ثقافة الأمم ومخيالها الشعبي، فكثيراً ما يقال أن العديد من الشخصيات العظيمة والملهمة في تاريخ البشرية قد تولدت لديها أفكار أنقذت

الانسان من براثن العدمية والجهل أثناء نومها أي من خلال الايمان بإشارات الكون الملتقطة في تفاصيل الأحلام. و الأحلام لا ترتبط دوماً، وبشكل كلاسيكي، بتلك الصور والاستيهامات العابرة في زمن النوم والانفصال عن عالم الحياة اليومية. فكل انسان يُفكر ويحلم بالمستقبل وكثيراً ما يسرح خيالنا في كيفية تحقيق أهدافنا المُستقبلية التي نشقى ونكافح من أجلها.

أحلامك هي أساساً أهدافك وطموحاتك. وإذا كنت راغباً في تحسين جودة حياتك فإنه من اللازم أن لا تكتفي بروتين الأشخاص العاديين : أكل وشرب وعمل ونوم فالحياة أكبر من ذلك.

توقف لحظة.

دوّن أحلامك.

اكتب كل تفاصيلها.

قد يكون هذا صعباً في البداية، لكنك كلما تدربت على تذكر أحلامك، كان من السهل تذكر جميع التفاصيل. وأي جزء تتذكره من المكان أو الأشخاص أو الأشياء المحيطة بك في الحلم يمكن أن يشكل رمزاً مهماً. أما إذا كانت لتفاصيل معينة أهمية خاصة، فإن إيمانك بها سيجعلها تبرز لك بشكل جلي وشديد الوضوح.

انفصل عن الأفكار الجاهزة المعلبة، وخذ بين يديك لوحة الأحلام. ضع عليها التصورات والتخيلات التي تخطط لها في

المستقبل. هذا يشمل دائرة معارفك والمنزل الذي تحلم به وشكل الجسد الذي ترغب في الوصول إليه بل حتى الأماكن التي ترغب في زيارتها لاحقاً؛ يعني أن اللوحة تُصمم لرسم صورة لمُستقبلك أنت. وهكذا تُساعدك لوحة الأحلام التخيلية على رسم ملامح مستقبلك وتصوره جيداً إلى الدرجة التي تساعدك على تحقيق أهدافك المنشودة.

ان لوحة الأحلام وسيلة ممتازة ومبتكرة للتواصل مع صوتك الداخلي وفهم أعماق ذاتك وذبذبات أحلامك، لهذا استمتع بالوقت الذي تقضيه في تصميمها.  
في البدء كان الحلم.

يتراءى لي كل شيء حلماً لكنه من صميم الواقع. لم يغادر مولاي أحمد دنيانا منذ يوم او يومين، لكن آخر لقاء جمعني بأسد الجبل يعود إلى أزيد من عشرين سنة.

هل أريد أن أقنع نفسي أنه مات وامحت ذكراه ؟ هل أقنع الآخرين أنه راقد منعّم في مثواه الأخير منذ عقدين ونيف، لكنه حي في ذاكرتي كأني قابلته بالأمس ؟

شتان بين من تكتبه وبين من يكتبك ويصنعك ويسقي وجدانك بماء واحد مصدره بحر الحب.

أكتب عنك وأنا ثمل بجمال الذكريات مغيب الحواس...  
دعوني أكتب عنه وأخلد اسمه وأتماهى مع ذكراه. أنا في ذروة الوصال وهذي الفيوضات هي كلّ الكل.

الكتابة الهام وكشف وفتح، وثمة شعور غامض منبثق  
من باطن الغيب يخترق كياني، ومعه أحسنى أعرف هذا الفتى  
الشجاع منذ الأزل وأن روحه وروحي تعارفا وتعانقا في برزخ  
مجهول لكنه أقدم من القدم.  
يجب أن أعترف أن الزمن لا قيمة له في هذا المجرى  
الوجودي النابض بالحياة.  
صوتك الجهير يا مولاي أحمد موشوم في ذاكرتي رغم  
الفراق..

نحن رجال ولا نخاف الا من الخوف !  
مولاي أحمد ! أنت الغائب الحاضر وقصتك أسطورة  
تنبض في شراييني..  
أن أحكيها لك، أن أعترب عن النبع، أن أحن الى الزمن  
الأول، أن أشاركك بعض تفاصيلها الرائعة، أن أدق أبواب من  
يريد أن يستمع لها ويتخيلها كيف جرت... تلك مهمتي، فلكل  
حكاية راو ولا أحد يستطيع أن يقصها على الملاء غير روحك  
الطاهرة، غير روحك التي لم تمت رغم حتمية الوداع.

أيها العالم، اني أصرخ ملء صوتي؛ فهل تسمعني ؟  
أسمعك. أنا مولاي أحمد. يعتقد كل من رأني وعاشرني  
لمدة كافية أنني بحري، فطريقة كلامي وحركات يدي وتقاسيم  
وجهي...كل ذلك يتدفق من معين الحرية والانطلاق.. لكني ابن  
الجبل ومن تضاريسه الوعرة انطبع في جيناتي منه مزيج من

الصلابة والعناد والرغبة المجنونة الجامعة في قهر الشدائد  
وتسلق الصعاب.

نحن رجال ! أسود الجبل نحن ولا نخاف إلا من الخوف !  
كان والدي رحمه الله فقيها حافظا لكتاب الله وزاهدا في  
الملذات. عاش حياته كلها متنقلا بين الجبال. وسماني أحمد  
تيمنا بخير الوري، وكان اسمي أيضا مطابقا لاسم جدي من أبي،  
لكن أخوالي كانوا يرددون دوما على مسامع والدي : ابنك مبروك  
، على وجهه طابع النجابة، وفي عينيه وميض الذكاء. سيباركه  
المولى في كل الخطوات ومشاريع الحياة... ولعلك تذكر أن  
فراشك ازدان به في أقدس يوم في دورة الكون: ليلة القدر..  
إنه ليس أحمدا فحسب، انه سليل البركة والاشراقات.  
سنناديه دائما (مولاي أحمد) !

مولاي أحمد ! اسمك من لوامع الأسماء. أنت لم تمت،  
فروحك الزكية ترفرف عاليا فوق رؤوسنا كالشاهد الصامت لما  
يقع في العالم. ها أنت تهاجر من قريتك الصغيرة المدفونة في  
سفح الجبل وتقصد المدينة للعمل. ها أنت تبدأ حياتك من  
الصفرة، وتبيع في مستهل مسيرتك في العمل كل شيء : التين  
والزيتون ومواد التنظيف والأحذية والأغذية في محلات البقالة...  
اشتغلت في كل شيء.. جربت كل شيء في التجارة، وبعث حتى  
الجوارب وأعواد الثقاب !

عشت مشبعا بروح المسؤولية. عشت بطاقة ألف رجل. لم  
تذق يوما طعم الراحة والخمول وبنيت حياتك طوبأ طوبأ.

ها أنت تبكر يوميا إلى عملك..

ها أنت تقوم من نومك على الساعة الثالثة صباحا  
وتركب دراجتك في أعماق الظلمات قاصدا الضيعات للترود  
بالبن.

ها أنت تعود إلى محل تجارتك بعيد الفجر لتضع فيه  
الحليب المعد للبيع وتصنع منه في الآن ذاته الزبدة واللبن  
والرائب.

ها أنت تتزوج في العشرين وترزق بتسعة من البنات  
والبنين حرصت على تمتيعهم بأفضل تربية رغم ضيق ذات  
اليد وشح الموارد.

ها أنت تنيف على التسعين وتظل رغم أعاصير الحياة  
الهوجاء صامدا شامخا كالجبل لا ينهد لك بنيان.

ها أنت في منتصف التسعين تقترب من النهاية، لكن  
النهاية بداية وأنت ضاحك الوجه منفرج الأسارير تداعب وتلاعب  
أبناء أحفادك.

يتراءى لي كل شيء من نافذة الأحلام ولكنه يطل علي  
من شرفات الواقع.

لم تغادرنا يا مولاي أحمد منذ يوم او يومين او عام او  
عامين، لكن روحك وروحي تشابكا وتعارفا في برزخ مجهول  
أقدم من القدم، في برزخ زمنه السرمدى لا وزن له ولا قيمة  
في هذا المجرى الوجودى النابض بالأمل.





# رِحْلَةُ الْحَبِّ وَالْوَدَاعِ

الحياة رحلة عنوانها الحب والديه والعشق والوداع.  
الوداع لا يحصل إلا لمن يعشق بعينه أما ذاك الذي يعشق  
بروحه وقلبه فمسافر لا يعرف الوداع.  
أعشقتك.

نظرت إلى الوجوه.. نظرت إلى الانسان.  
سافرت وجلت وجاوزت الجبال ولاقيت الرجال.  
انتبهت الى دبيب الحياة وأصخت السمع لموسيقى الأكوان  
فرأيتك.

لذت بالصمت، وواصلت التأمل، فمتى أغدو منه عارفا  
بوجوه عبادك وكنوز قدرتك ؟

يا موجد كل موجود، أنت أقدم من الوجود، أنت رب الوجود.  
أنت ملاذي وملجئي وأملي، أنت الحب المتجسد في خلجات  
الفؤاد وألوان الحياة وإيقاعات الصباح والمساء وكل الذرات.  
أنت الحب، أنت الله.

أيها الحب الأعظم سبحانك، أنت حي لا تموت، تباركت  
وتعاليت. سبحانك وغفرانك.

إلهي.. هذي الحياة لم يجد بها علي أحد. أنت الجواد  
الوهاب وإني أحب وأقدس الحياة التي جدت بها علي.

أيها الحب الأعظم، اني زاهد في الدنيا وعاشق للحياة  
بمعيتك وسالك عائد إليك فهل تقبلني في حضرتك ؟

أريد اللؤلؤ، فلاغص في أعماق البحر فما على الشاطئ غير  
الزبد.

أيها الحب الاعظم.. عندما أنطلق في بحر الحياة وأغترف  
منه بقلبي وروحي واحساسى وبدني وجميع جوارحي، فإنني  
أمدك وأكافح في سبيلك.

إن الأكوان التي تدور في أفلاك ملكوتك مدعاة للصمت  
والتأمل وأنا أعشق أسرارك وعلومك اللامتناهية وعجائب  
قدرتك، أيها الحب الأعظم.

أنت النور الذي أرى به العالم، فأرى ذاتي الساكنة في  
محيطات إشراقاتك وتجلياتك وفيوض رحمتك وأنوارك  
وتجلياتك.

أيها الحب الأعظم، السفر إليك رجوع إلى فطرتك التي  
فطرت الناس عليها مذ أوجدت الوجود من العدم.

أيها الحب الاعظم، الحياة من كشوفات ملكوتك، فلأشرب  
منها لأروي عطشي الأسطوري والوجودي إليك.

تباركت وتعاليت وتقدست صفاتك وأسمائك وأوصافك أيها  
الحب الاعظم.

انك تشرق علي في كل حين وبنورك أرى العالم.

أيها الحب الأعظم، ان أسرارك لا تنتهي وأنا مسافر اليك  
وأفائك لا تحد وعطاياك لا تنقضي وعجائبك لا تنضب.

أرني أنظر إليك أيها الحب الأعظم..

لك الحمد عدد النجوم والكواكب وحببات الرمال وزبد البحر  
وذرات الكون وعدد أنفاس الخلائق.

تباركت وتعاليت يا قريبا غير بعيد يا منقذ الغرقى يا  
حبيبي يا لطيف يا رحمان يا رحيم.  
أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم  
وصفاتك العليا وقدسك وأنوارك وتجليات إشراقاتك أن تغسل  
ذنوبنا ولو كانت عدد حبات الرمل وزبد البحر، وأن ترزقنا  
وتفيض علينا من عطايك ونعمك وعلومك وأسرارك.  
يا الله، يا الله، يا حي يا حي يا حي، يا قيوم، يا بديع،  
أيها الحب الأعظم.

لماذا نحتاج إلى حكمة  
المعرفة ؟

كلنا فضوليّون بطبيعتنا، فالفضول أو حب الاستطلاع يُعرّف على أنّه الحاجة إلى الفهم والمعرفة والرغبة في الاكتشاف ومعرفة حقائق الأمور. فهو في الوقت ذاته حالة ذهنية ودافع داخلي وغريزة وسلوك وهو موجود عند الأطفال منذ ساعة الميلاد وعند الإنسان عموماً وفي مملكة الحيوان. كلنا نحب أن نكون على دراية بكل ما يحدث في العالم، وما قد يحدث، وما قد لا يحدث في حياتنا السائلة من نهر المعارف والمعلومات والبيانات. وبما أن أدمغتنا مدفوعة للتنبؤ بالمستقبل، وفهمنا للعالم ينتج بالمزج بين ذكرياتنا عن الماضي والمعلومات التي تمدنا بها الحواس الآن، لكي نتمكّن من تخمين النتائج على النحو الأمثل فإن كل ذلك يفرز اللايقين المورث للقلق.

لا فائدة في معرفة لا تثمر حكمة. فهل نحتاج لهذا الكم الهائل من المعارف والبيانات المتدفقة على الشبكات والمنصات في عصر ما يسمى بالتواصل الرقمي اللامحدود؟ هل هذا السيل العارم من المعلومات يجعلنا أكثر سعادة في عالم الانسان المعاصر الموسوم بالتعاسة والخراب؟ لقد ارتفع معدل رفاهية إنسان القرن الحادي والعشرين في الكثير من دول العالم، خاصة في الغرب، لكن هل تعني هذه الرفاهية التكنولوجية والحضارية التي انغمسنا فيها من الرأس إلى الأقدام.. هل تعني مزيدا من السعادة؟

ألا يخلق الاستهلاك المفرط للأخبار والمعلومات جرعا إضافية من التوتر والكآبة نحن في غنى عنها ؟  
ألا نحتاج ، في زمن البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي العابر للقارات، إلى التقليل من استهلاك المعلومات لننعم بحياة أكثر هدوءا وسعادة وقربا من طبيعتنا وفطرتنا الانسانية ؟  
ربما سمعت عن الإحصائية التي تفيد بأن 90 في المئة من بيانات العالم لم تُجمع إلا في السنوات القليلة الأخيرة. فعلى مدار الخمس وثلاثين سنة الأخيرة تقريبا، تضاعفت البيانات في العالم كل عامين بنحو 10 أضعاف، ولعل من بين المشاكل التي يطرحها معدل زيادة المعلومات بهذا الشكل أن اللحظة الآنية ستطغى دوماً على الماضي حتى لو كان قريبا.  
إن المعلومات والمعارف الجديدة والوفيرة أكثر من مهمة في حياتنا الراهنة، فعدم المعرفة ليس أمرا جيدا على الإطلاق، لكن ما نحتاجه في العمق ليس المعرفة ولكن حكمة المعرفة.  
تخيل أنه لديك فسحة من الوقت، وأنت جالس في البيت تتأمل ألبوما يضم الصور التي التقطت لك في السنين الأولى من عمرك، منذ لحظة الميلاد وحتى بلوغك 18 سنة.  
لنواصل هذا التمرين التخيلي المحض (الحامل إطلاقا لحزمة من المعاني والدلالات)..

لديك صورتان للسنتين الأوليين من عمرك، وقياساً على معدل زيادة المعلومات في العالم، سيكون لديك 2000 صورة للفترة ما بين سن السادسة وحتى الثامنة، ثم 200 ألف صورة



للفترة ما بين سن 10 سنوات إلى 12 سنة، وتزيد بعد ذلك الصور زيادة مذهلة في الفترة ما بين سن 16 إلى 18 سنة لتصبح 200 مليون صورة مما يعني أنه في السنتين الأخيرتين تُلتقط أكثر من ثلاث صور كل ثانية.

أوه ! يا الهي ! أنت أمام عدد مهول من الصور.

إن تأملك الهادئ لعدد قليل من الصور (بضع عشرات أو مئات) التقطتها على مدار 18 سنة (سنة الحالية، كما جاء في التمرين)، كاف جدا لخلق نصيب هائل من المتعة الحسية والاحساس الفريد بجمال وحميمية هذه الصور. إن مشاهدة وتذوق ملايين الصور الموثقة لحياتك من الميلاد إلى سنة الحالية (18) لا قيمة له.

اسمعي جيدا، أريد أن أكرر المعنى نفسه : إن الطوفان الهائل والجارف للصور والبيانات والمعلومات السائلة من معين حضارتنا الحالية لا قيمة له.

هل اقتنعت الآن أن وفرة المعلومات ليست دائما مسألة ايجابية لأنها يمكن أن تتحول إلى طاقة سالبة للتركيز والتأمل المستنير للزمن البشري بمكوناته الثلاث : الماضي، الحاضر والمستقبل؟

هل اقتنعت أيضا أنه إن لم نختر بعناية المعلومات التي يمكنها أن تحافظ على الماضي البعيد وتبرزه وتنقل ما فيه من معانٍ، سيمحو الحاضر آثار الماضي الهادئ بضجيجه المتزايد ؟

## فهرس

- 5.....كيف تقرأ هذا الكتاب؟
- 9.....الوباء في زمن الأمل
- 21.....تقبل حياتك
- 35.....تسليم
- 41.....الرجال لا يخافون
- 49.....رحلة الحب والوداع
- 53.....لماذا نحتاج إلى حكمة المعرفة؟



- د. مهدي عامري من مواليد مدينة فاس يوم 10 أكتوبر 1981
- يعمل حاليا كأستاذ باحث بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط
- يتوفر د. عامري على خبرة مهنية في التدريس والتدريب والتكوين الجامعي والبحث العلمي الأكاديمي والتنمية الذاتية والنشاط الثقافي والسينمائي تفوق 11 سنة
- عمل سابقا كأستاذ متعاقد ومنسق تربوي بالمدرسة العليا للتواصل والإعلانات بالدار البيضاء، واشتغل أيضا في السنوات الأخيرة، كأستاذ جامعي بدوام كامل في مجال الإعلام والاتصال بفرنسا
- د. مهدي عامري مؤلف للعديد من الكتب في التواصل الإيجابي والتعليم الرقمي إضافة إلى القصة القصيرة
- صدر له في مصر والمغرب بين عامي 2019 و2020 ثلاثة كتب : "أحلام ونهاية الأحلام"، و"أترك الجمود وابدأ التغيير" و"تستطيع أن تكون ناجحا. كتاب للإلهام والأمل".
- د. مهدي عامري حاصل على شهادتي الدكتوراه والتأهيل الجامعي في علوم الإعلام والتواصل بجامعة بوردو (فرنسا) وفي كلية علوم التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط.